

من تراثنا الحديث إفتاحية مجلة « السلام » (١٩٣٣)

هذه هي المقدمة التي صدر بها الأستاذ محمد داود العدد الأول من مجلة « السلام » سنة ١٩٣٣، تيمنا عن رؤية الحركة الوطنية المغربية للعمل الثقافي وعلاقته بالمجالات الاقتصادية - الاجتماعية - السياسية.

كان صدور « السلام » حدثا تاريخيا، فهو المبلور لطموح جماعي، أساسه مواجهة الوضع الذي كان عليه المغرب آنذاك، من خلال برنامج متكامل، ومن ثم أصبحت « السلام » طوقا تسلكها كل المبادرات التي أتت فيما بعد. من هنا تأتي أهمية العودة الى هذه المقدمة، حتى نتأكد جميعا من أن العمل الثقافي ليس نزوة، ولا حكرا لجماعة دون أخرى، حينما يأخذ هذا العمل بعده التاريخي، يهيء للتحويل الفاعل في اتجاه المستقبل الانساني.

قبل أن نطق أو نختلف حول هذه الرؤية الوطنية للعمل الثقافي، علينا أن نمارس قراءة تاريخية، كلية، لا تستنير بالمعطيات التي أدت الى صوغها على هذا الشكل دون غيره، ولا نقتصر على مواقف انتقالية. كل قراءة نقدية هي، في العمق، تاريخية كلية، لا تسقط الرغبات، ولا تلغي النص، أو تمحو شرائطه.

يكفي أننا نتذكر ونذكر، والكشف عن تراثنا الحديث مسؤولية جماعية.

مبدأنا وشاهدنا

الشعور حينما يهدب في أمة من الأمم، لا يقتصر على طبقة واحدة من طبقاتها، أو ناحية خاصة من نواحيها. بل لا يكاد يثبت في طبقة أو ناحية حتى تراه يسري منها الى أخرى سريان الكهرباء في الأسلاك. وما أسرع ما يعم الشعور اذا كانت الأمة ذات تاريخ مجيد، وشعبها من أصل طيب وعنصر رشيد.

يعم الشعور سائر الطبقات، فتجد العلماء يمدون في تميم أنوار العلوم والمعارف بين طبقات الأمة.

وتجد طبقة الأدياء تجتهد في تغذية عموم الشعب بالأفكار الناضجة، وتبهر السبيل أمامه لادراك حقوقه ومعرفة واجباته، وتبديه الى الطريق التي يجب عليه سلوكها ليكون شعبا ناهضا قائما بواجباته الاجتماعية. حاملا لقسمة من النهضة العالمية والأمانة الانسانية.

وبالجملته نجد الطبقات الممتازة كلها تعدل عن التفكير في خصوص مصالحها الى التفكير في مصالح الأمة والعمل لاعلاء شأنها، وتبويتها المقام الذي يليق بها.

ثم إذا التفت الى طبقة الزراع والصناع تجدها جادة في تحسين مشروعاتها وإتقان أعمالها والأخذ بالوسائل الحديثة التي تعود عليها بالفوائد العظيمة والمكسب الطوبى والنفع الجزيل.

ثم تجد أساليب التعليم العام تتحسن، ووسائل نشره تتوفر، والاقبال عليه من الجمهور يزداد يوما بعد يوم. وهكذا بقية الطبقات والمهيات كل منها ينهض من جهته ويعمل في دائرته. والأمة تستفيد من ذلك كله. وكلما انتشر التعليم والثقافة، وتوحدت الصفوف، وارتبطت القلوب، وتقدمت وسائل الاقتصاد، ارتفع شأن الأمة، وعم الشعور بالحرية والكرامة سائر طبقاتها، وتلك هي النهضة الحقيقية.

وأمتنا المغربية العزيزة قد أصبحت اليوم مقبلة على نهضة عامة لازالت في فجرها وعصر جديد تهدأ أن تسترجع فيه من مجدها، وتحيي فيه من عزها وعظمتها، ما أحنى عليه الدهر ولعبت به أيدي الخدعان.

لذلك كان من اللازم أن تكون لها صحف مختلفة الموضوعات، متنوعة الأساليب، تسامر النهضة العالمية، وتعيد السبيل لمن فيهم الاستعداد للعمل النافع للمجموع، وتقود جمهور الأمة الى الغايات السامية لتحتني من نهضتها أحسن الثار دون أن تحيد عن الصراط السوي في أفعالها وأعمالها.

و نحن نعد نهضة أمتنا الكريمة حادثا طبيعيا ما دام العالم الإسلامي كله قد شعر بالهزة العنيفة التي يفئضه من سياته العميق. ومادامت الأمة العربية النبيلة قد نصفت عنها غبار الضعف والخنول، ووجهت وجهها نحو توحيد الجهود واستنثار المواهب، للوصول الى النتيجة الطيبة لأمة الحية الشاعرة.

وهل وطننا المغربي إلا جزء من العالم الإسلامي العظيم، وهل أمتنا المغربية إلا عضو عامل في جسم الأمة العربية الكبرى؟

وما دام الغرب غربا والشرق شرقا، والغرب اليوم في أوج عظمته، والشرق في فجر حركته، فهل يجمل بشمال إفريقيا أن يقف مكتوف اليدين لا هو من الغرب فيستمتع بتفوقه وعظمته، ولا هو من الشرق فيشارك في شعوره ونهضته؟ لا.

إن الأمم «كالأفراد» معرضة دائما للضعف والقوة، والحرية والمهون، والحركة والسكون، (يوم لك يوم عليك) وقبل بضعة قرون كان الشرق مشوى العظمة والرفاهية، ومركز الحركة العلمية والأدبية، في حين كانت أوروبا دونه في جميع الشؤون ولكن الغرب اتصل بالشرق، واستفاد منه فأحسن الاستفادة، ثم دارت الأيام دورتها فإذا الشرق يدركه الضعف، ويقضي على مجده التخاذل والتفرد، والظلم والفساد، وإذا الغرب يظهر بمظهر النشاط والقوة، ويقدم على صعاب الأمور فيذلها، ويستخدم قواه الكامنة فيأتي للعالم بالعجب المعجاب.

وما هو الشرق يتصل بالغرب مرة ثانية ولكن كتلميذ هادىء لا كأستاذ مهاب.

فحسى أن يحسن الشرقيون الاستفادة من تلامذة آباؤهم، فيقلدوا الغربيين فيما امتازوا به اليوم من أسباب العزة والصلوة، وينقلوا عنهم أصول النهضة ويتركوا التوافه والمظاهر الفارغة.

إننا طالما ترددنا في إصدار صحيفتنا «السلام» لأننا نكاد نعتقد أننا عاجزون عن إبراز صحيفة يكون لها مقام كبير في أمة تحتوي على عشرات بل مئات من إخوان لنا وأصدقاء نحن نتيقن أنهم أكثر منا علما وأوسع ثقافة، وأغزر مادة، وأوضح بيانا، وأسلس عبارة. وهم بدون شك أولى منا بالقيام بمثل هذا المشروع، ولكننا لم نجد بدا من تلبية نداء ضميرنا الذي يأبى إلا أن نقدم لأمتنا الكريمة من جهودنا رغما عن ضالتها، ومن معارفنا رغما عن بساطتها.

وان أملنا لكبير في أن يكون عملنا المتواضع حافزا لقيام أولئك الإخوان النبهاء في مختلف الأنحاء المغربية

بمشروعات صحافية كبرى يكون عملها أقوى ، وصوتها أعلى ، ونفعها أعم.

أما برنامجنا فمن الصعب علينا تحديده ، لأن مقصودنا خدمة أمتنا العزيزة في كل ناحية نرى فيها مصلحة لها ، إلا أن ذلك لا يمنعنا من أن نشير إشارة الى بعض نواحي سنخصص لها من اعتنائنا قدرا وافرا ان شاء الله. فمن ذلك :

(١) التربية والتعليم :

فالتربية الأولية حينما تتحد أو تتقارب في شعب ، يكون لها أقوى مفعول في توحيد الجهود وتوجيهها الى النقطة التي يهيم الأمة الوصول اليها.

ومسألة التعليم عندنا ذات أهمية عظمى يعرف قدرها كل من يلقي نظرة ولو مستعجلة على حالة جل الأماكن التي يعيش فيها أبناؤنا وأطفالنا ورجال مستقبلنا أيام تكون أجسامهم وتلقبهم للتعليم الأثري والابتدائي ، أما كيفية تعليمهم والقدر الذي يتعلمونه وبلغهم من فهم ما يقرأون ، فكل ذلك إما دون ما يجب أو خلاف ما ينبغي.

وأما التعليم الثانوي والعالي سواء بالمدارس المختلفة أو المساجد العمومية (ومنها جامع القرويين بفاس الذي هو أكبر معهد علمي ديني بالمغرب) فكل ذلك لازال مقفرا الى إصلاحات جمّة ، وتحسينات مهمة سنعطيا بحول الله تعالى ما تستحقه من البحث والتحصيل. ونوفيا حقها من التقدير حتى نصل الى نتيجة عملية يجتني منها الجميع أطيب الثمرات إن شاء الله.

(٢) الأخلاق والتهديب :

وإن أمة كما أننا تنقصها وسائل النشر وتوحيد التفكير ، محتاجة الى قيادة ماهرة تهذب من أخلاقها ، وتجمع ما هو متفرق من شملها «وإنما الأمم الأخلاق» خصوصا وهي الآن في موقف الانتقال من امتحانها بالجهل العارض والغرض الموقته ، الى حياة العلم والعمل والانتاج والنظام. وإن موقفا كهذا لجدير بأن تكون الأخلاق الفاضلة فيه رائدا ، والتدبر والتثبت فيه هاديا ومرشدا.

الأدب :

وهناك أيضا الأدب ! الأدب الحمي المعبر عن سعادة الانسانية وشقاها ، الأدب المفتح عن آمال النفوس وآلامها ، والشعر المطرب للأرواح المتعطشة الى الفضيحة في سمائها ، والحرية في عليائها.

ذلك مورد سفتح طريقه أمام أدبائنا المجددين وشعرائنا الشعبيين ، وأحرارنا المصلحين. وننتخب على الخصوص من بنات أفكار اخواننا الناطقين بالضاد ، ما نراه المثل الكامل لعزة النفس المغربية منتظما في عقود سحر البيان العربي.

(٤) تعميم الثقافة وتوحيدها :

ان لجمهور المفكرين في أمتنا ثقافة ، إلا أنها ليست موحدة ، وذلك لعدم اتحاد التربية والتعليم من جهة ، وعدم وجود وسائل النشر الكافية وتبادل الآراء والأفكار من ناحية أخرى.

وكل من الأفراد والهيئات محتاج ان الاستفادة من تجارب الذين سبقوه الى القيام بمشروعات كمشروعاته.

والأمة حينما تولي وجهتها نحو تنظيم شؤونها وتحسين وسائل حياتها ، تكون أكثر حثياج من غيرها من

درس أحوال الأمم السالفة ، والبحث في أسباب نهضتها والطرق التي سلكتها في تطوري تقدمها وتأخرها.

لذلك رأينا من اللازم أن نعنى بدراس أصول النهضة في الدول العربية الإسلامية التي لبثت عدة قرون حاملة علم الرعامة العالمية كما تقوم بدراسات وافية للنهضات الحقيقية في الأمم العربية الحديثة التي انتزعت الرعامة المادية من الشرق ، وسطت نفوذها المادي والأدبي على جل بقاع المعمور. وإن في درس النهضات المختلفة لموعظة وذكرى لقوم يعقلون.

٥) الاقتصاد والاجتماع :

وتنظيم الحياة الاقتصادية من أكبر الموطدات للنهضة في الأمة ، واعتقادنا أن الاقتصاد هو أساس السعادة المادية.

فالبلاد التي ليس لديها القدر الكافي من المشاريع الاقتصادية ، ولا ينهض أبنائها لتأسيس الشركات التجارية ، وفتح الدور والمعامل الصناعية ، ليست جديرة بأن تسمى أمة شاعرة بواجباتها ، ناهضة للتمتع بحقوقها.

فيجب أن نسمى مع الأمة لتكوين رؤوس أموال تستخدم للمصالح العمومية وإيجاد الأشغال المختلفة للأيدي العاملة.

ويجب أن نهى مهندسين فنيين وطينيين يحفظون آثارنا ، ويحسون زراعتنا وصناعاتنا. ويستخرجون بعلومهم الحديث المنظم ما أودعه الله في أرضنا الكريمة من الخيرات.

ويجب أن يكون من بيننا أطباء ماهرون وذكاترة مقتدرين.

ويجب أن يتبع في الأمة محامون متضلعون في القوانين والشرائع الدولية لتسير الأعمال في طرقها القانونية. وتكون الحقوق الخاصة والعامة في مأمن من الضياع أو الإهمال.

ويجب أن يتكون منا صحفيون يعملون بالإخلاص رائدهم ، والإصلاح والتهديب والإرشاد مبدأهم.

ويجب أن تقدم الأمة على كل وسائل الحياة المنظمة الراقية وتجعل حدا لكل عمل مخالف للعدالة والقانون.

٦) الرياضة والصحة :

نعنى أيضا بالرياضة وقواعد حفظ الصحة ونعمل لشيوع تربية الأطفال تربية صحية. ونأتي بالإرشادات النافعة لشباب الأمة حتى يتنافسوا في تحسين صحتهم العالية وفي المحافظة عليها. لأن في ذلك ضمانا للنجاح في المشروعات التي يقدمون عليها. والعقل السليم في الجسم السليم. والأعمال العمومية لأشك تختلف باختلاف قوة أصحابها عقلا وجسما.

٧) التجديد :

مسألة التجديد والتقديم ، أو التجديد والمحافظة ، من المسائل التي كثر كلام الناس عنها في المدة الأخيرة. ونظرتنا في ذلك أن كل أمة تهدي أن تعيش عالمة عاملة مسيرة لطبيعة الكون ، يضمن في حقها أن

تأخذ بكل ما تقتضيه حياة العزة والكرامة من الأفكار الصائبة والمبادئ القوية والمشاريع النافعة حتى تتمكن من القيام بواجبها الاجتماعي بين الأمم.

ونرى أن الواجب علينا أن نتدبر أسباب رقي الأمم ذات العظمة المادية والأدبية في هذا العصر ، ونبحث عن الوسائل الحقيقية لنهوضها وعظمتها فنقلدها فيما يمكن التقليد فيه ، وإن تدخل في كل ناحية من نواحي حياتنا ، عناصر النشاط والقوة والفتوة والتجديد ، حتى تكون في الأمة مناعة قوية ضد عوامل انحلالها أو اندماجها في غيرها. وكل ذلك فيما نرى يمكن لأمتنا أن تقوم به مع المحافظة التامة على جميع مبادئ ديننا الخفيف ، ودون أن نفرط في شيء من مقدساتنا القومية التي بها كان آباؤنا أجلة ماجدين.

إن تاريخنا الاسلامي والعربي حافل بالمواقف المشرفة ، وإن كتب سلفنا الصالح مفعمة بالمبادئ السامية ، فلنحافظ على سمعة أجدادنا بعدم إتيان مايتاني مواقفهم المشرفة ، ولنحني من أخلاقهم ما فيه النبل والشهامة ، ولتأخذ من الأمم الحية الناهضة كل وصف حميد وخلق كريم.

نحن نريد بكل صراحة أن نأخذ من أوروبا أبواب نهضتها وترك القشور ، نهد أن نقلدها فيما يعود بالخير والمنفعة على أمتنا لا فيما لا فائدة لها فيه. نريد أن نأخذ عنها ونحاربها في العلم والعمل والجد والمثابرة والإقدام وغير ذلك مما نعدده من أصول نهضتها وأسباب سيادتها. ولا نرضى أن يكون الفرد منا كالبيضاء تردد كل ما نسمع ، أو الفرد يحاكي كل ما يرى دون فهم ولا إدراك. نريد أن نعمل مجد ونشاط لحياتنا وإن لا ننقى كالمفرجين على أعمال الأحياء المحتجدين. نريد أن نزاحم ونعمل بأنفسنا ، وأن لا تقتصر على التحدث بدكريات الآباء والأجداد.

٨ بيننا وبين بقية الأقطار الشرقية :

إن مما يهينا كثيرا أن نطلع إخواننا في أنحاء هذه البلاد على ما يجري في مختلف الأقطار الاسلامية على العموم والعربية على الخصوص حتى يعرفوا مبلغ سير إخوانهم الشريفين في نهضاتهم ، ويكونوا على بينة من اتجاهات تلك النهضات ومرامها.

وإنه لما يؤسفنا أن نرى كثيرا من إخواننا المفكرين بالشرق مجهولون كل شيء عن المغرب ، وإن عددا لا يستهان به منهم ، معلوماتهم عن بلادنا ناقصة أو مشوهة ، وسرنا أن يعير أولئك الإخوان قليلا من التفاتهم الى هذه النواحي حتى يعرفوا بعض ما لا يعرفون عنا ، ويصلحوا ما يمكن إصلاحه من الأخطاء التاريخية والجغرافية والاجتماعية وغيرها.

٩ الأفكار المطرقة :

وهناك نقطة مهمة لا بد لنا من الإشارة إليها. وهي ما نقرأه لبعضهم من حين لآخر من المبادئ الفاسدة والمذاهب الهدامة كاللبنشية والاحاد وغيرها من المبادئ التي يريدون بها عن جهل مركب أن يوهنوا من روحية الأمم وأن يحلوا ما توتق من عراها ، وهشتوا ما تجمع من شملها. ونحن نحمد الله على أن تلك الفئة لا يكاد يسمع لها صوت في بلادنا ، ولكن رغما عن ذلك فإننا نصرح بأننا سنقاوم كل من يعتدي على المبادئ الدينية والاجتماعية القوية التي سنعمل لتوطيد مركزها.

وقد طال بنا الكلام، فلنترك الأعمال تفني عن الأقوال، ولنختم هذه المقدمة بكلمة نعبث بها عما نؤمل أن تقوم به صحيفتنا على وجه العموم، وهي أننا نريد أن تقوم من ناحية بخدمة أمتنا في نهضتنا العامة، وبخصوصا من ناحية العلم والثقافة، ومن ناحية أخرى نريد أن تكون مرآة يشاهد فيها العالم حقيقة تفكيرنا،

ويجد فيها من المقالات العلمية والأدبية والتاريخية، ومن الشعر القومي ما يصح جملة مستلذاً فيها لمعرفة درجة الأمة في الرقي والتقدم.

وأخيراً نهد أن نظهر للعالم الإسلامي على العموم والعربي على الخصوص، أننا جزء منه لا يتجزأ. نفرح لفرحه ونتألم لأنه. وإذا وقعت حادثة ولو بأقصى المشرق، فإن قلوبنا تهتز لها ونحن بأقصى المغرب. هذه هي حقيقتنا. وهكذا نهد أن يعرفنا العالم.

ونعود فنقصر الخطاب على من يرون رأينا، ويسرهم نجاح مبادتنا من القراء الكرام فدعوههم إلى أن يعتبروا صحيفتنا صحيفتهم، وإن يعيشوا إليها بمقالاتهم وأفكارهم وملاحظاتهم، وأن يعبروها من إهتمامهم ما يشتد به أزرها ويعم نشرها وتنشؤ مبادئها وتتحقق أمانيتها. فتصح فيما أسست لأجله من التقدم بأمتنا الكريمة في ميادين العلم والأدب والسياسة والاقتصاد، ومن الدفاع عن الإسلام والعروبة والأخلاق الفاضلة وعن الحقوق المهضومة. سدد الله خطانا، وجعل الحق رائدنا، إنه ولي الهداية والتوفيق.

محمد السلام : محمد داود

شؤون فلسطينية

مجلة شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية
وشؤونها المختلفة ، تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير
الفلسطينية

المدير العام : صبري جريس

رئيس التحرير : محمود درويش

المراسلات يبعث بها إلى العنوان التالي :

بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني

(متفرع من السادات ، رأس بيروت) ص. ب. : 1691 ،

بيروت لبنان

سعر العدد بالمغرب : 9 دراهم